الرسائل لابن تيمية

الاستغاثة

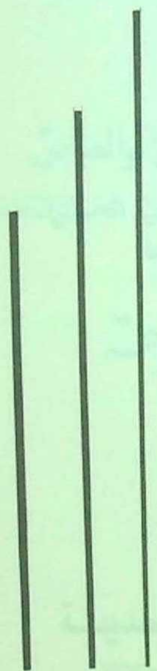
تأليف

أحمد بن عبد الحليم بن عبد الله بن تيمية

تحقيق

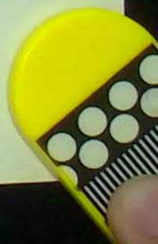
عبد الحميد شانوحة

دار المطبوعات الحديثة
تليفون ٦٦١٠٨٨٠ ص ب ١٦٦٤٥
جدة ـ المملكة العربية السعودية



الاستغاثة

الطبعة الأولى



الاستغاثة

(العزى)

تأليف

شيخ الاسلام تقي الدين ابو العباس

أحمد بن عبد الحليم بن عبد الله بن تيمية الحراني الدمشقي

(٦٦١هـ ٧٢٨)

تحقيق

عبد الحميد شانوحة



الناشر

دار المطبوعات الحديثة

تليفون ٦٦١٠٨٨٠ ص ب ١٦٦٢٥

جدة - المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية رضي الله عنه : ماتقول السادة العلماء أئمة الدين ، وفقهم الله لطاعته فيمن يقول : لايستغاث برسول الله ﷺ . هل يحرم عليه هذا القول ، وهل هو كفر أم لا ؟ وإن استدل بآيات من كتاب الله وأحاديث رسوله ﷺ ، هل ينفعه دليله أم لا ؟ وإذا قام الدليل من الكتاب والسنة ، فما يجب على من يخالف ذلك . أفتونا مأجورين . الجواب :

الشفاعة :

الحمد لله . قد ثبت بالسنة المستفيضة ، بل المتواترة ، واتفاق الأمة ، أن نبينا ﷺ الشافع

المشفع ، وأنه يشفع في الخلائق يوم القيامة ، وأن الناس يستشفعون به ، يطلبون منه أن يشفع لهم إلى ربهم ، وأنه يشفع لهم .

ثم اتفق أهل السنة والجماعة ، أنه يشفع في أهل الكبائر ، وأنه لايخلد في النار من أهل التوحيد أحد .

وأما الخوارج والمعتزلة : فأنكروا شفاعته لأهل الكبائر ولم ينكروا شفاعته للمؤمنين ، وهؤلاء مبتدعة ضلال ، وفي تكفيرهم نزاع وتفصيل ، وأما من أنكر ماثبت بالتواتر والإجماع ، فهو كافر بعد قيام الحجة ، وسواء سمى هذا المعنى استغاثة أو لم يسمه ، وأما من أقر بشفاعته ، وأنكر ما كان الصحابة يفعلونه من التوسل به والاستشفاع به ، كما رواه البخاري في صحيحه عن أنس أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن

عبد المطلب وقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا ،[1] فيسقون . وفي سنن أبي داود وغيره أن أعرابيا قال للنبي ﷺ : جمدت الأنفس وجاع العيال وهلك المال ، فادع الله لنا ، فإنا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك ، فسبح رسول الله ﷺ حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه وقال : « ويحك إن الله لا يستشفع به على أحد من خلقه شأن الله أعظم من ذلك »[2] وذكر تمام الحديث فأنكر قوله : نستشفع بالله عليك ولم ينكر قوله : نستشفع بك على الله . بل أقره عليه ، فعلم جوازه . فمن أنكر هذا فهو ضال مخطئ مبتدع ، وفي تكفيره نزاع وتفصيل .

---

(١) رواه البخاري في الاستسقاء .

(٢) رواه أبو داود رقم (٤٧٢٦) اسناده ضعيف .

الطلب من الله :

وأما من أقر بما ثبت بالكتاب والسنة والإجماع ، من شفاعته والتوسل به ونحو ذلك ، ولكن قال : لايدعى إلا الله ، وأن الأمور التي لايقدر عليها إلا الله ، فلا تطلب إلا منه ، مثل غفران الذنوب ، وهداية القلوب ، وإنزال المطر ، وإنبات النبات ونحو ذلك ، فهذا مصيب في ذلك ، بل هذا مما لانزاع فيه بين المسلمين أيضاً كما قال تعالى : (ومن يغفر الذنوب إلا الله)[1] وقال : (إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء)[2] وكما قال تعالى : (ياأيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض)[3] وكما قال تعالى : (وما جعله

---

(١) آل عمران آية ١٣٥ .

(٢) القصص آية ٥٦ .

(٣) فاطر آية ٣ .

الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله)[1] وقال : (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا)[2] .

مصدر المعاني :

فالمعاني الثابتة بالكتاب والسنة يجب إثباتها ، والمعاني المنفية بالكتاب والسنة يجب نفيها ، والعبارة الدالة على المعاني نفيا وإثباتا إن وجدت في كلام الله ورسوله وجب إقرارها ، وإن وجدت في كلام أحد وظهر مراده من ذلك رتب عليه حكمه وإلا رجع فيه إليه ، وقد يكون في كلام الله ورسوله عبارة لها معنى صحيح ، لكن بعض الناس

---

(١) آل عمران آية ١٢٦ .

(٢) التوبة آية ٤٠ .

يفهم من تلك غير مراد الله ورسوله فهذا يرد عليه فهمه ، كما روى الطبراني في معجمه الكبير أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين فقال أبو بكر الصديق : قوموا بنا لنستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق ، فقال النبي ﷺ : « إنه لايستغاث بي وإنما يستغاث بالله »[1] فهذا إنما أراد به النبي ﷺ المعنى الثاني ، وهو أن يطلب منه مالا يقدر عليه إلا الله ، وإلا فالصحابة كانوا يطلبون منه الدعاء ويستسقون به ، كما في صحيح البخاري عن ابن عمر قال : ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه النبي ﷺ يستسقي ، فما ينزل حتى يجيش له ميزاب :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للأرامل[2]

---

(١) رواه أحمد ٥ / ٣١٧ واسناده ضعيف .
(٢) وذكره أحمد أيضاً ٢ / ٩٣ .

وهو قول أبي طالب ، ولهذا قال العلماء المصنفون في أسماء الله تعالى : يجب على كل مكلف أن يعلم أن لاغياث ولا مغيث على الإطلاق إلا الله وأن كل غوث فمن عنده ، وإن كان جعل ذلك على يدي غيره ، فالحقيقة له سبحانه وتعالى ، ولغيره مجاز .

قالوا من أسمائه تعالى : المغيث ، الغياث ، وجاء ذكر المغيث في حديث أبي هريرة ، قالوا واجتمعت الأمة على ذلك .

وقال أبو عبد الله الحليمي : الغياث : هو المغيث . وأكثر مايقال غياث المستغيثين ، ومعناه المدرك عباده في الشدائد إذا دعوه ومجيبهم ومخلصهم ، وفي خبر الاستسقاء في الصحيحين : « اللهم أغثنا اللهم أغثنا »[1] يقال أغاثه إغاثة وغياثا

---

(١) رواه البخاري في الإستسقاء .

وغوثا ، وهذا الاسم في معنى المجيب والمستجيب قال تعالى : (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم)[1] إلا أن الاغاثة أحق بالأفعال ، والاستجابة أحق بالأقوال ، وقد يقع كل منهما موقع الآخر قالوا : الفرق بين المستغيث والداعي أن المستغيث ينادي بالغوث ، والداعى ينادى بالمدعو والمغيث ، وهذا فيه نظر ، فإن من صيغة الاستغاثة بالله للمسلمين ، وقد روي عن معروف الكرخى : أنه كان يكثر أن يقول واغوثا ويقول إني سمعت الله يقول : (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم)[2] وفي الدعاء المأثور : « ياحي ياقيوم لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا إلى أحد من خلقك » .

---

(١) الانفال آية ٩ .

(٢) الانفال آية ٩ .

الاستغاثة بالرحمة والصفات :

والاستغاثة برحمته استغاثة به في الحقيقة ، كما أن الاستعاذة بصفاته استعاذة به في الحقيقة ، وكما أن القسم بصفاته قسم به في الحقيقة ، ففي الحديث : « أعوذ بكلمات الله التامة من شر ماخلق »[1] وفيه : « أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لاأحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك »[2] .

ولهذا استدل الأئمة فيما استدلوا : على أن كلام الله غير مخلوق بقوله : « أعوذ بكلمات الله التامة » قالوا والاستعاذة لاتصلح بالمخلوق .

---

(١) رواه البخاري في الانبياء ومسلم في الذكر .

(٢) رواه مسلم في الصلاة .

وكذلك القسم ، قد ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال : « من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت » وفي لفظ : « من حلف بغير الله فقد أشرك »[1] رواه الترمذى في النذور وصححه ، ثم قد ثبت في الصحيح : « الحلف بعزة الله ولعمر الله » ونحو ذلك مما اتفق المسلمون على أنه ليس من الحلف بغير الله الذي نهى عنه ، والاستغاثة بمعنى أن يطلب من الرسول ماهو اللائق بمنصبه لاينازع فيها مسلم ، ومن نازع في هذا المعنى فهو إما كافر إن أنكر مايكفر به ، وإما مخطىء ضال .

وأما بالمعنى الذي نفاه رسول الله ﷺ ، فهو أيضاً مما يجب نفيها ، ومن أثبت لغير الله مالا يكون إلا لله ، فهو أيضاً كافر إذا قامت عليه الحجة التي يكفر تاركها .

---

(١) رواه الترمذي في النزور .

ومن هذا الباب قول أبي يزيد البسطامى : استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق . وقول الشيخ أبي عبد الله القرشي المشهور بالديار المصرية : استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون .

وفي دعاء موسى عليه السلام : اللهم لك الحمد واليك المشتكى وأنت المستعان وبك المستغاث وعليك التكلان ولاحول ولاقوة إلا بك . ولما كان هذا المعنى هو المفهوم منها عند الاطلاق وكان مختصاً بالله صح إطلاق نفيه عما سواه ، ولهذا لايعرف عن أحد من أئمة المسلمين أنه جوز مطلق الاستغاثة بغير الله ، ولا أنكر على من نفى مطلق الاستغاثة عن غير الله .

وكذلك الاستغاثة أيضاً فيها مالا يصلح إلا

لله ، وهي المشار إليها بقوله : (إياك نعبد وإياك نستعين)[1] فإنه لايعين على العبادة الإعانة المطلقة إلا الله وقد يستعان بالمخلوق فيما يقدر عليه ، وكذلك الاستنصار قال الله تعالى : (وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر)[2] والنصر المطلق هو خلق مابه يغلب العدو ، ولا يقدر عليه إلا الله .

حكم المخالف :

ومن خالف ماثبت بالكتاب والسنة ، فإنه يكون إما كافراً ، وإما فاسقاً ، وإما عاصياً ، إلا أن يكون مؤمناً مجتهداً مخطئاً ، فيثاب على اجتهاده ، ويغفر له خطؤه ، وكذلك إن كان لم

---

(١) الفاتحة آية ٤ .

(٢) الانفال آية ٧٢ .

يبلغه العلم الذي تقوم عليه به الحجة ، فإن الله يقول : (وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا)[1] وأما إذا قامت عليه الحجة الثابتة بالكتاب والسنة فخالفها ، فإنه يعاقب بحسب ذلك ، إما بالقتل ، وإما بدونه والله أعلم .

---

(١) الاسراء آية ١٥ .

تمت الرسالة الثانية عشر

وبتمامها : تم ولله الحمد طبع الجزء الأول من مجموعة الرسائل الكبرى ، لشيخ الاسلام ، تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية الحراني الدمشقي .

ويليه إن شاء الله الجزء الثاني وأوله : الرسالة المسماة :

(بالاكليل في المتشابه والتأويل)

الفهرس

الموضوع	الصفحة